

فيلم سيرجيو.. صور متناثرة تخرج من تحت الأنقاض

سيرة ممثل الأمم المتحدة الذي أراد صنع مستقبل جديد للعراق



حب في ساحات الحروب والنزاعات

والواقف الحادة، ولاسيما في بؤر التوتر التي عمل فيها وفي بيئات متفجرة، ولربما كان التركيز على مهمته في العراق مثلا هو الأجدى، لولا أن المخرج انتقل بنا إلى تيمور الشرقية ليؤسس لخط عاطفي وخط سردي يرتبطان بمجريات الحياة الشخصية.

سيرجيو دي ميلو

■ ولد في 15 مارس 1948 في البرازيل.

■ درس في جامعة السوربون وحاصل على شهادتي

دكتوراه في الفلسفة

والعلوم الإنسانية.

■ بدأ العمل في الأمم المتحدة

منذ العام 1969 في العديد

من الساحات، وتدرج في

العديد من المناصب حتى

أصبح مساعدا للأمين العام

للأمم المتحدة لشؤون

اللاجئين ثم مفوضا ساميا

لحقوق الإنسان.

■ توفي في العراق في 19

أغسطس 2003 في حادث

تفجير إرهابي.

بعد وفاته انتهى

دور الأمم

المتحدة في

العراق واشتعلت

الحرب الأهلية.



مشاهد مؤثرة وهي كارولينا (الممثلة أنا دي أرماس) وهي مساعدة سيرجيو للشؤون الاقتصادية وحبه العظيم. سوف نعود في مشاهد استرجاع إلى بدايات تعارف الإثنين في تيمور الشرقية والحرب الجارية التي نشأ بينهما هناك ثم إصرارها على الانتقال مع سيرجيو إلى العراق.

لا شك أن منح مساحة واسعة لعلاقة الحب تلك قد استغفرت الكثير مما يمكن تقديمه عن سيرة سيرجيو، وواقعياً لم تكن تلك اللقاءات الغرامية ذات أهمية كبيرة في البناء الفيلمي وصولاً إلى المشاهد الحميمة، وكأنها فجوة في شخصية سيرجيو الذي يتشد اللذة فيما هو يقوم بمهامه لإنهاء الصراع بين تيمور الشرقية واندونيسيا.

لكن في المقابل كان إيمان كارولينا بشخص سيرجيو وأدائه ونجاحاته وتقديم بعض الاستشارات له والعمل إلى جانبه وصولاً إلى العمل معه في بيئة خطيرة بالعراق، كل ذلك كان محطة من محطات سيرجيو لولا التوسع فيها وتقليص مساحة ما هو أهم.

ثم نأتي إلى مشاهد احتضار سيرجيو وهو تحت الأنقاض وهو الحل الإخراجي الذي تم استغفاره لتكراره في موازاة حلول أخرى.

في هذه المشاهد ليس هناك الكثير تقاطعت بين مشاهد التفجير وحبها سيرجيو الشخصية وعلاقته الغرامية. هذان الخطان السريديان أضعفا الحكمة الدرامية الأساسية بأن سيرجيو صاحب قضية ومبدأ وليس مجرد شخص يحمل نثاراً مبعثراً من الذكريات

ومن الواضح أن البحث في سيرة الشخصية بشكل معمق لم يتحقق بما فيه الكفاية لغرض إنتاج خطوط سردية إضافية وحبات ثانوية. والحاصل أن سيرجيو دخل في مسيرة حياته معترك الدامية سوف تكون هناك فتاة شابة جميلة تلعب باسم سيرجيو في سلسلة

في العراق بينما لم يحظ بريمر بمثل ذلك الامتياز رغم محاولاته العديدة. في مشهد آخر للسجل والصراع الواضح بين الشخصيتين يرفض بريمر قطعياً مشروع سيرجيو لإعادة الحياة المدنية إلى العراقيين من خلال انتخابات حرة ونزيهة، بينما يقول "إن مهمة الأمم المتحدة هي مساعدة الشعب العراقي لكي يتخلص من القوات المتعددة الجنسيات وأن يأخذ القرار بيده".



بريمر هو الحاكم بأمرة في العراق، يظهر محاطاً بجيوش أميركا المدججة بالسلاح فيعين ويعزل ما يشاء من العراقيين ويتصرف في ثروات العراقيين وبأمر بالقصف والقتل، ويتوغل بمهمته بإعادة افتتاح أبتشع سجن في ذاكرة العراقيين وهو سجن أبوغريب.

في مشاهد مؤثرة تجمع بريمر مع سيرجيو يعلنها الأخير صراحة في وجه بريمر أنها ليست بادرة حسنة من طرف أميركا أن تقدم للعراقيين سجناً ارتبط في أذهانهم بكل أشكال الظلمات والموت.

من هنا سوف يخرج سيرجيو وهو على خلاف مع بريمر ثم يتزوج ذلك بانزعاج بريمر من نجاح سيرجيو في مقابلة السيد علي السيستاني المرجح الشيعي الأعلى في العراق، وخروجه بتوصيات منه من أجل إجراء الانتخابات

لا شك أن الاستهانة بعنصر المكان، الفضاء المحسوس الذي تتفاعل معه الشخصية، هو خطأ إخراجي واضح، فطبعية العمران على التلال والجبال الواطئة في الأردن هي غيرها في البيئة المنبسطة السهلية - الصحراوية في العراق، وذلك ما لا يمكن التغاضي عنه أو التوهم عليه.

وفي صدد المكان الشبيه بالمكان العراقي فقد سبق وأن تم التصوير في مكان ينسبه المكان البغدادي لفيلم آخر من الأفلام التي تتحدث عن الاحتلال الأميركي للعراق وهو فيلم منطقة خضراء، حيث اكتشفنا أن أحياء في مدينة الصويرة المغربية تشبه مثيلاتها في بعض أحياء بغداد وهو ما نجح فيه الفيلم على خلاف هذا الفيلم الذي نتحدث عنه.

بين سيرجيو وبريمر

يقدم المخرج شخصية مهمة في تاريخ العراق ما بعد الاحتلال وهو الحاكم الأميركي للعراق بعد الاحتلال البول بريمر (الممثل برادلي بيتفورد) ومنذ البداية يظهر أن الرجلين على طرفي نقيض في مقاربتيهما للازمة العراقية.

بريمر هو الحاكم بأمرة في العراق، يظهر محاطاً بجيوش أميركا المدججة بالسلاح فيعين ويعزل ما يشاء من العراقيين ويتصرف في ثروات العراقيين وبأمر بالقصف والقتل، ويتوغل بمهمته بإعادة افتتاح أبتشع سجن في ذاكرة العراقيين وهو سجن أبوغريب.

في مشاهد مؤثرة تجمع بريمر مع سيرجيو يعلنها الأخير صراحة في وجه بريمر أنها ليست بادرة حسنة من طرف أميركا أن تقدم للعراقيين سجناً ارتبط في أذهانهم بكل أشكال الظلمات والموت.

من هنا سوف يخرج سيرجيو وهو على خلاف مع بريمر ثم يتزوج ذلك بانزعاج بريمر من نجاح سيرجيو في مقابلة السيد علي السيستاني المرجح الشيعي الأعلى في العراق، وخروجه بتوصيات منه من أجل إجراء الانتخابات

العراق وفي بغداد تحديداً.

العون ثم لتجسم تلك المعاناة بعد هذا المشهد مباشرة إلى واقعة تفجير مقر بعثة الأمم المتحدة في العراق في 19 أغسطس 2003 حيث سيكون سيرجيو هو من يعاني ويحتاج إلى العون.

تحت الركام والدخان وكتل الحجارة سوف يكون سيرجيو هناك هو ورفيقه الأمامي يلفظون أنفاسهم بعد تفجير مقرهم غير المحصن جيداً في فندق القناة بشرفي بغداد ولما تزلز دبابات أميركا ومركبات جنودها وقاصفاتها تصول وتجول في ذلك البلد ناشرة القتل والرعب وما قد طال سيرجيو من ذلك موت مؤكد.

إنه هناك تحت الأنقاض، يحتضر، الضابط الأميركي، يبلغ رؤساءه عن الضحايا الذين ما زالوا أحياء تحت الأنقاض وأبرزهم ممثل الأمين العام سيرجيو، وأنه بالإمكان إنقاذه، لكن لن يبقده أحد وسوف يتترك لمصيره حتى يلفظ أنفاسه.

يستخدم المخرج معالجة سينمائية إشكالية فهو أولاً سوف ينقح ساحتين من ساحات عمل سيرجيو من بين العديد من الساحات كما ذكرنا ويسترجع تفاصيل عمله في الساحتين فيما هو ينزف تحت الأنقاض، بمعنى أنه قد أمعن في استخدام الاستذكارات وتراوح الضخ الصوري ما بين مشاهد التفجير والدماء وبين يوميات سيرجيو وهو يؤدي مهام عمله.

على خلفية إعلان الرئيس الأميركي جورج بوش عن غزو العراق وإسقاط نظام صدام حسين وإعلان بدء العمليات العسكرية في هذا البلد يكون سيرجيو قد تسلم مهام عمله ممثلاً للأمين العام في بغداد بعد مقابلة مع بوش نفسه، وكان بوش هو الأمين العام وهو من عين سيرجيو في المنصب.

أرشيف متنوع وكثيف ولقطات وثائقية سوف تنتهي بنا إلى لحظة وصول سيرجيو إلى العراق هو ورفيقه ونزول طائرته في مطار بغداد، لكن ليس ذلك مطار بغداد، وهذا أول أخطاء الجغرافيا المكانية التي وقع فيها المخرج بالتصوير في الأردن على أساس أننا في العراق وفي بغداد تحديداً.

صور تجمع أزمنة وأماكن شتى مثل كلمات وحروف متقاطعة، عليك جمعها من أجل أن يتكامل المشهد في سيرة ذاتية تنتقل أمامنا من الأرشيف والتاريخ إلى حياة يومية صاخبة ومليئة بالصراعات. تلك هي سينما السيرة الذاتية التي تحتل موقعا يجاور الأنواع السينمائية الأخرى، وهو ما يؤكد فيلم سيرجيو للمخرج كريك باركر.

طاهر علوان
كاتب عراقي



يمكننا اعتبار سيرة سيرجيو دي ميلو منجزاً سينمائياً جديداً لسيرة ذاتية درامية بامتياز، سيرة فيها من الأسرار والأوجاع وقصص النجاح والمغامرة والحب والعاطفة الشيء الكثير.

سيرجيو دي ميلو رجل السياسة البارع الذي لا يكاد يترك ساحة من ساحات الصراع من حول العالم إلا وكان له حضور في نقاطها الساخنة، ولا يكاد يغيب صوت الرصاص وأصوات الضحايا وصراخ الساسة وصراعاتهم عن ذاكرته قط.

من بنغلاديش فالسودان إلى موزمبيق ثم إلى لبنان فالبيرو ثم إلى كمبوديا فالجوسنة مروراً بكوسوفو وتيمور الشرقية واندونيسيا وانتهاء بالعراق، حيث لقي حتفه وانطلق صوته الشجاع إلى الأبد، تلك هي محطات سيرجيو ويوميات حياته في الأمم المتحدة.

المخرج اعتمد أسلوباً في السرد الفيلمي قائماً في أغلبه على الاستذكارات، وهو حل شائع ولكنه أضر بالفيلم

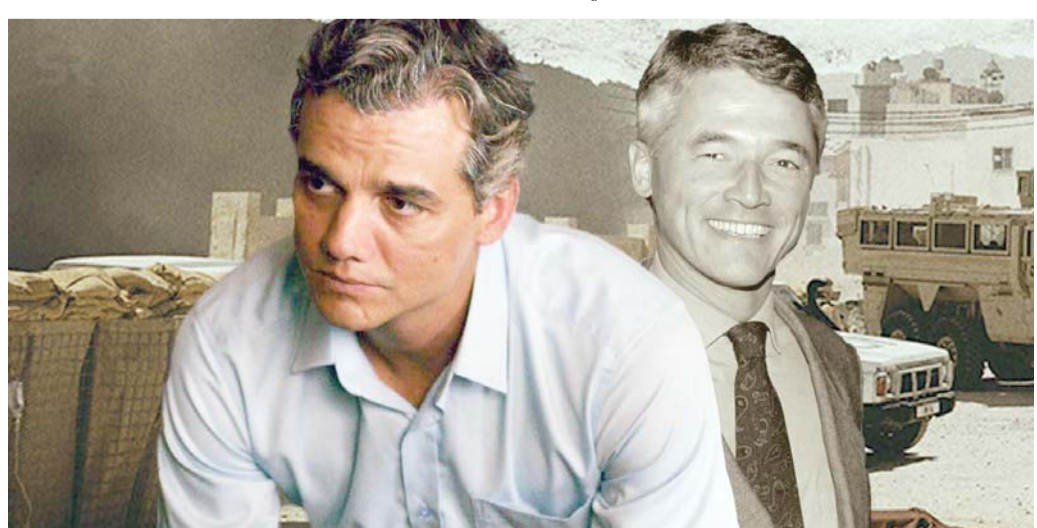
لا شك أنها حياة ثرية وغزيرة لكن السؤال هو كيف ستظهر فصولها في فيلم سيرجيو، وكيف وماذا سوف ينتقي المخرج منها في إطار سيرة ذاتية فريدة من نوعها؟ سؤال يرسم المخرج كريك باركر، مخرج هذا الفيلم من خلال طريقة قراءته لتلك الرحلة الشائقة وطريقة تقديمها إلى الشاشة.

34 عاماً في ثلاث دقائق

خلف شاشة معتمة نستمتع إلى سيرجيو في مقابلة معه، حيث يطلب منه أن يختصر مسيرته فيرّد ضاحكاً، كيف لي أن اختصر مسيرة 34 عاماً في بضع دقائق؟

واقعيًا هي بالفعل سيرة ثرة وغزيرة وكما عرضنا لمحطاتها الأساسية لكن كاتب السيناريو والمخرج يبدو أنهما اكتفيا بساحتين من ساحات عمل سيرجيو وهما العراق، حيث الموت المروع تحت كابوس الغزو الأميركي، لهذا البلد ومن قبلها كانت محطته المهمة في تيمور الشرقية.

يظهر سيرجيو (يؤدي الدور الممثل واكتر مورا) في مكتبه بصفته المفوض السامي لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة ويتحدث عن المعاناة الإنسانية ومد يد



رحلة سيرجيو دي ميلو من ساحات الحروب والصراعات إلى الشاشة